الذين يحبهم الله

للكاتبة الانجليزية لهيلدا هيوز

ترجمة : صلاح عبد اللطيف

سار دافيد وليمز متجها الى البيت الريفى فى تكاسل ووهن . كانت الشمس ترسل أشعتها فوق المراعى ، والتلال تبدو فى الخلف قاتمة وكئيبة ، وكانت السماء فى صباح ذلك اليوم يميل لونها الى الاحمرار .

أما وليمز فهو رجل طويل ، ذو وجه جميل ومهذب ولكن آثار الزمن كانت بادية عليه . مضى يسير فى خطوات طويلة وسط الأراضى الزراعية كما لو أن مشاغله دفعته الى أن يعبر فراغا مكشوفا ، ولكن الملاحظ أن ثمة شيئا يبدو فى مشيته أكثر من كونه فلاحا ، انه لا يعبأ كثيرا بالحياة فلبس مجرد أن يعانى التعب فى الحقل يكون قد عمل شيئا حسنا .

تطلع الى التلال التى تقف سدا منيعا بينما كانت يده تتلمس سقاطة باب الحديقة لتفتحه ، ثم دخل المنزل الريفى وهو الطابع الشائع لمنازل ويلز وفى المطبخ كانت هناك غلايات نحاسية أضفت عليه رونقا ،وكانت النار تئز فى المدفأة رغم حرارة الصيف ، وفى معظم الحالات كانت غلاية الشاى توضع فوق مدفئة الطعام أو أمام النار . وبجوار المطبخ تمدد « نان » وهو كلب اسكلندى اسود اللون ذو وجه دقيق وعينين مليئتين بالثقة ، لقد تدرب على حراسة الأغنام تدريبا ممتازا .. أما « بوب » الكلب الآخر فهو عامل ماهر وان كان أقل حماسا ، وعندما لاح الكلبان أمام الباب لم يبد سيدهما أو سيدتهما ترحيبا بهما للدخول .

وضعت الفتاة ذات الوجه الأحمر اللمسات الأخيرة على المائدة وهى الفتاة التى تقوم بخدمة المنزل ..وفى مواجهة دافيد جلست زوجته بلودوين .. كانت تبدو عليها علامات الصحة والجمال ، وكانت أكبر من زوجها بست سنوات ، ولكن وجهها كان يعبر عن الشعور بالسخط .

قطعت شريحة اللحم واعطت دافيد نصيبه منها وتحدثت قليلا ، أما هو فأدار محاولة جريئة للمناقشة وهو يحكى لها عن السيدة جونز التى رزقت بمولود جديد والسيدة وليمز التى رحل ابنها الى جنوب ويلز وفيكار الذى رحل هو الآخر ليقدم باعداد كورتشرتو موسيقى بمساعدة المدرسة ..

وعندما جاء ذكر الموسيقى ازداد وجهها تجهما ..

فقد حصلت ديردر الفتاةالتى يحبها

دافيد على الجائزة التى ايسعد دورد هذا العام ·· وديردر هذه فتاة جميلة تعمل فى مزرعة مجاورة مع طفليهـــا وتحلب الأبقار رغم أنها تبدو أرق من أن تحمل آنيـــة اللبن ·· ولقد عاش دافيـــد مع بلودوين فترة طويلة الى حد انه يستطيع أن يقرأ أفـكارها ويدرك أى نوع من الأفـــكار يراودها حتى ولو كانت صامتة ·

ـ هل رأيتها اليوم ؟

قبل أن تتفوه بهذه العبارة ·· تغير لون وجهها ··

ســـال وهو يتظاهر بعـــدم فهم ماتعنيه :

ـ من ؟ ··

ـ لعلك تعرف أحسن منى يا دافيد ·· ويردد بالطبع ·

وعند ذلك امتقع وجهـــه ثم قال فى قلق بالغ :

ـ كلا ·· واعتقد أنك لا تريدين لى ذلك ·· ثم كيـــف يمكن لى أن أراهـا مصادفة فى التلال ·· الله وحده يعلم ·

لكن بلودوين لم تكن راضية ·· انها تحب زوجهـا ذلك الرجل الذى حامت عيناه على أخرى أصغر منها · على كل ما فى داخلها بالحقد ، انهـــا تريد أن تعرف هل ديردر تفكر فيه أيضا ·· ثم من هى ديردر هذه ؟ ·· لقد سمعت أنها رفضته قبل أن تتزوج منه وهى الآن تعيش مع طفلين فى المزرعة التى تعمل فيها ·· هذه الفتاة بشكلها الجميل ووجهها الرقيـق واســمها الذى يثير الخيال ربما تغير تفكيرها منذ أن تزوج دافيد منذ خمس سنوت ·

ان بولدوين لا تستطيع أن تواجـــه الحقائق كما هى ·· ان زوجهـــا طبيب للغاية معها وهو يفعـــل ذلك رغم كل ما يتوقعه منها ·

ولكن الحمى فى دمها لا تهدأ ··

قالت :

ـ ليس غريبا أن أتحدث عنها بعد كل ماعرفته ·

قال دافيد فى حدة :

ـ انت تعـــلمين أنى لم أكن كاذبا معك أبدا ·· لقد تحدثت عن هذه الفتاة الى حـــد أنى لم أعد أحتمل أكثر من ذلـــك ·· وأنت لو أصررت على ذلك فسنصابين بالجنون ، كما أننا قررنا ألا نتحدث عن ذلك مرة أخرى ··

وعند ذلك خيم عليها الصـــمت ، لكنها بقيت غير مستريحة ، وأعطته قطعا من البطـاطس وانطلق فكرهـــا طوال الوقت يهيم فى شتى الظنون ··

انتهى من طعام غذائه ، ثم جلس الى المدفئة ثم ارتدى ملابســـه فقد كان ذاهبا الى السوق ، ومن عادته أن يذهب اليها مبكرا ، وفى هذا اليـوم أراد أن يقابل واحدا أو اثنين من الفلاحين قبل أن يعودوا الى ديارهم ليناقش معهم بعض الامور قبل أن يخرجوا بدوابهم وعرباتهم ،ولسوء الحظ فانه تأخر اليوم عن الذهاب الى المدينة كعـادته ، ولكن على أية حال لم يتأخر كثيرا ،

ـ دعينى أقبلك قبل أن اذهب ·· بلودوين ·

قال ذلك وقد تحول فجأة غضبه الى رقة ·

وغم أن قبلته كانت رقيقة على خدها فان بلودوين لعنت القـدر لأنهـــا لم تستطع أن تسـيطر على عقله وقلبه واحساساته الدفينة ، لقـد كانت مستطيعة أن تنغص عليه الحيـــاة ، وتأخذ عليه العهود لتشهد طاعته لها فى كل لحظة ، ولكن قلبه وعقله بكل احلامها كانت بعيدة المنال عنها ·

في هذا اليوم لم تستطع بلودوين أن تحظى بالراحة في منزلها ، ودفعها القلق أن تخرج ، فما أن غرقت افكارها في ديردر حتى وجدت نفسها تذهب الى مزرعة السيدة توماس حيث تعمل الفتاة كما لو أرادت أن ترى أنهـا لازالت باقية ..

كان الهـواء شديد البرودة ، وفي السماء غيـوم ولكن الشمس لازالت مشرقة والسحب تنقشع سريعا وتلقي الظلال فوق التلال المترامية الأطراف . ان الطبيعة في المنـاطق الجبلية يتغير مزاجها في لحظة . وحملقت بلودوين في الجبال الداكنة الممتدة أمامها وأدركت أن السماء ستمطر قبل أن يحل الليل ، وأسرعت تمشي بجوار الجداول الجبلية ، وفي طريقهـا كانت تقفز أغنـام ويلز بوجوهها المدببة الصغيرة وشكلها الجميل وأذيالها الطويلة ، وكلما سارت ظهر بجانبها بعض الشجيرات الضخمة ، والطريق أمامهـا يتخذ لونا بنفسجيا وأرجوانيـا بتأثير النباتات حيث كان نبات السرخس ينتشر حول الطريق ، وفوقها كان يطير واحـد أو اثنـان من طيور النورس ..

لقـد كان المكان مقفرا ويبعث على الرعب ..

وبدأ المطر يتساقط ...

ونظرت السيدة ويليمز الى البحيرة التي تقع بين الجبـال ، كانت قاتمة واشبه بشيء كئيب وقبـل ذلك كانت أشعة الشمس تتراقص على السـطح الأزرق المتلألىء للبحيرة ، أما الآن فان كل شيء داكن وشديدو البرودة ولا يكاد يحتمل . وندت في الجـو صرخة من طائر بري فارتعدت بلودوين ، ثم رفعت ياقة معطفها وعادت تحث الخطو ..

وصلت الى المزرعة ، ثم فتحت بابا حديديا يشبه الى حد كبير باب الأفران ، ان ويلز الشمالية تمتلىء كثيرا بمثـل هذه الأشياء ـ ثم عبرت طريقها متجهة الى الحقول ..

وأمام المنزل كان كثـير من الحصى الأبيـض ، انه تقليـد يتبعـه بعـض المزارعين والفلاحين لبزينوا به المكان مع مراعاة أن يكون الحصى أبيض اللون ..

استقبلهـا عواء كلب عندما اتجهت ناحية البـاب .. وتطلعت امرأة كانت تعمل في المطبخ لترى من القادم ، لكن السـيدة توماس فتحت الباب الأمـامي بنفسها فصدر منه صوت كما لو كان الباب لايفتح كثيرا ، والحقيقة أن الباب الجانبي كان يستخدم كثيرا ، وكانت الحجرة التي استضيفت فيهـا بلودوين تضم صورا رياضية علقت على جدرانها ، وقفص طيـور ، وآية موضـوعة فوق البيانو مكتوب عليها « الله محبة » .

قالت بلودوين للسيدة توماس .

ـ كنت أخشى أن تكوني ذهبت الى السوق ، ولـكن على أية حال أردت أن القي نظرة لأطمئن عليكم .. ألم يبارحك مرض النقرس بعد .

قالت السيدة توماس :

ان قدمي تؤلمني قليـلا ، وتقـوم ديردر بأعمالي ، انها فتاة طيبة جدا ، وأستطيع أن أعتمد عليها .

جلست السـيدة ويليمز ، فهـذا بالتأكيد ما جاءت من أجله .

ـ ان ابنك يتمشى معها في الخارج .. ليس كذلك ؟

سألت بلودوين وهي تعرف أن هذا ليس هو الموضوع ، ولكنها لم تستطع أن تبعد الفتاة عن ذهنها .

قالت مدام توماس .

ـ أتمنى ذلك ، فان كلا الطفلين يحبانها جدا ، لقد ذهبت الى السوق مع ويليمز اليوم ، انها تعتبر الى حد كبير واحدة من العائلة ... هل رأيت الجوائز التذكارية ، لقد كان الحظ حليفها فى استبد فورد هذا الموسم ..

وقامت السيدة توماس تعرض لها الجوائز فى زهو ..

ـ انها فتاة محظوظة جدا دائما .. ان الله يحبها ..

قالت بلودوين ذلك وعى تضع التذكارات قبل أن تتأملها فهذا الحديث قد يأتى على عقلها ..

وتحدثنا عن أسعار السوق .. والآلات الموسيقية الجديدة .. وتحدثنا كثيرا عن مدام فيكار .. وبين الحين والحين كانت بلودوين تنظر الى ساعتها وهى ترجىء رحيلها ...

وبدا الوقت متأخرا ولم تأت ديردر ولم تستطع السيدة توماس أن تدرك سر تأخرهما ..

وأخيرا بدأ القلق ينتاب بلودوين ، وقررت أن تعود الى منزلها عن طريق التلال ، لأنه طريق أكثر جفافا ، ولكنها تأخرت ، والمكان يبدو مهلكا لمن يجهله

كان المد قد طفى ناحية التلال وغمرت المياه السفح . وكان الضوء يومض ويخبو ناحية البحر ، أما الشجيرات الضخمة فكانت تشبه أشكالا آدمية . ووصل اليها هدير البحر ونوائح الملح تملأ فمها وأنفها ، وطائر النورس فوقها يقطع الظلام بصرخاته ، وقد أثار منظر الأغنام وهى تسير بجوار احدى الصخور الضخمة الرعب فى نفسها ، ودوى من بعيد صوت الرعد ..

طوال الطريق كانت الظنون تقربها ، كان يخيل لها أنها ترى وجها شاحبا وجميلا وعينين تضحكان وشبح صغير جميل .. لو أنها فقط استطاعت أن تملك قلب زوجها ! !

وأحست بسرودة الريح . وأمطرت السماء وعند ذلك تعثرت ثم نهضت تواصل المسير . لقد كانت ليلة فظيعة وأفكارها أيضا كانت فظيعة ، لقد كرهت هذه الفتاة التى يوليها الله عطفه ، وطالما بقيت على قيد الحياة فلن يمكنها أن تتأكد أن زوجها سيتخلص من أحلامه . كيف يمكنها أن تتخلص من هذه الفتاة الى الأبد .. هذه الشوكة فى الجسد

وتزايدت كراهيتها التى يغذيها خيالها المعذب ..

هل يمكن أن تعيش وترى هذه الفتاة بعد عمر طويل . ولم تستطع أن تتصور ذلك الواقع ، وفضلت أن تقطع شرايينها ، وتسحق الزهرة تحت قدمها .. واختنقت الضحكات فى فمها ، لو أنها فقط تستطيع أن تكتم أنفاسها ..

وصاحت وكأنها تصلى من قلبها .

ـ اللهم استمع الى .. انى أترسل اليك .. دعها تموت .. دعها تموت .

لقد أرادت الموت لديردر . انه شىء طبيعى أن تدعو الى الله بذلك بسبب نزعتها الدينية والنزعة التقليدية أيضا .

وعادت تصرخ :

ـ يارب .. يارب .. اقتلها .. اقتلها .. دعها تموت .

ودوت الكلمات مرتفعة مع الرياح ، وأحست أن جسدها يتصلب من شدة السخط .

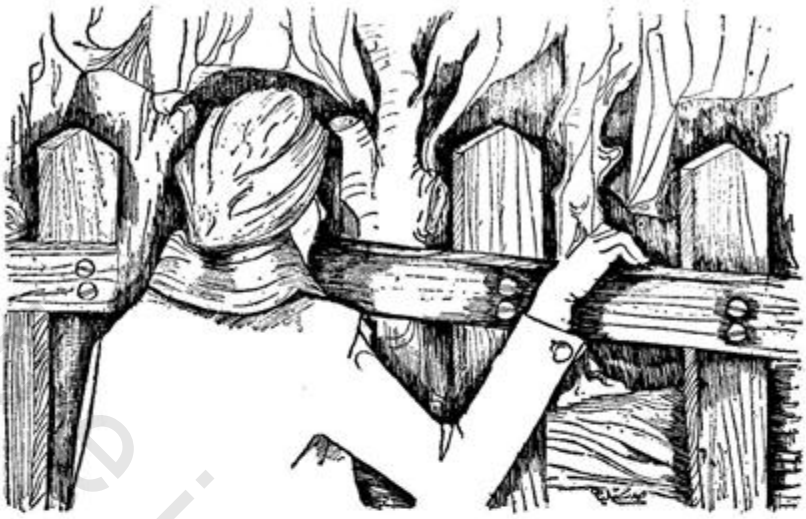

وقالت وهي تحدث نفسها :

ـ لو انها هنا الان لدفعتها من فوق التل ، وادع جسدها الجميل يسقط في البحر واسمع صرخاتها وارى وجهها الابيض بعد ان تصبح جثه هامدة ·

سيكون الأمر عندئذ مجرد حادث ويمكننى ان اهرب من القانون ، بعد تعثرت بجسمها عندما كان الطريق ضيقا ···

وتساءلت :

ـ هل يرتكب الناس العاديون مثل هذه الجريمة · ولكنها لم تحفل ·

وعند ذلك بدا كما لو ان عويلا تنقله الرياح·· اعقبته صرخة مدوية وأحست أن شيئا لامسها وهى تسير رغم أنها كانت فى وعيها ولم تكن تحلم وبدا لها أن هذا الشىء يمسك بصدرها الى حد أن قلبها كاد أن يتوقف وارتعدت فرائصها ولم تستطع أن تواصل المسير، وتلاحقت أنفاسها وغمرت الدموع عينيها وسمعت من على بعد دقات الساعة تعلن التاسعة ورغم أنها كانت قريبة من الكنيسة ومنطقة العمران الا أن ذلك لم يجلب الراحة اليها ، لقد كانت تحاصرها أرواح شريرة ، وخيل لها أن أشباحا تسير فى الظلام وأن شيئا يلمس وجهها· وسمعت أصواتا تنذر بالسوء · هل يمكن أن يكون كل ذلك بسبب الرياح · وخيل لها أنها رأت وجه زوجها فى الظلام شاحبا وهو يصدها ·

وعادت تسير وهى تنتحب ، وتصاعدت من شفاها دعوات ولعنات فى تمتمات غريبة · انها ستصاب بالجنون · حتى الأغنام ذات الرؤوس البيضاء جعلت العرق يسيل من جبينها ، وأحست أنها ستسقط فى أية لحظة وتمنت لو أن تموت وتستريح ·

وتحولت وهى تسير فى حذاء البحر ثم عبرت السلاسل الصخرية ووجدت نفسها تخوض فى مستنقعات جبلية ، وتحولت مرة أخرى وسارت فى حذر وسط الأبقار وتعثرت فى شجرة ضخمة ، ثم جثت الخطو من جديد ، وعندما اقتربت من المنزل بدأت انفعالاتها تهدأ ، وسادتها السكينة بعد موجة من الحمى ، لقد كان جسدها ومشاعرها الداخلية مرهقة للغاية ومضت تجرجر أعضاءها فى ارهاق ، كان شعرها مبتلا وحذاؤها مبتلا

فاحست أن ألما أصابها فى مؤخرة قدمها ، وعندما التصقت ملابسها بجسدها اقشعر بدنها بسبب الصقيع والارهاق .

فتحت باب الحديقة وعبرت الممر .. ثم فتحت الباب الأمامى . كان شخص ما يتحرك داخل الحجرة ، ولمحت وجه السيد وليم توماس وهو يبدو شاحبا فى ضوء المصباح .. وتطلعت اليها الخادم ثم مضت ..

ـ سيدة وليمز .. السيد توماس فى انتظارك انه يريد أن يقول لك شيئا ياعزيزتى .

ولاحظت بلودوين لهجة التردد ، وتحولت تتأمل وجه وليم توماس . كانت شفاهه شديدة الزرقة .

ـ لدى أنباء سيئة يا مدام وليمز .. يالها من دنيا ... ويردد المسكينة .. قالت بلودوين بصوت هادىء وهى تحس بالبرد يلسع بدنها .

ـ استمر ..

ـ ماتت .. تهشمت كالزهرة وهى فى طريقها . لقد كان ذلك نحو الساعة التاسعة وعند ذلك اختلطت كلماته بالدموع .

« ونحو الساعة التاسعة » .. رنت الكلمة فى ذهنها ، وتذكرت عندما سمعت دقات الساعة ، انها كانت اذن تعد خطة للقتل وهى تصلى الى الله قبل ذلك بقليل انها قاتلة .. قاتلة ..

وتصورت نفسها وهى فى حبل المشنقة .

وحاولت أن تصرخ وهى تلاحق انفاسها . وتجمد لسانها فى فمها .. وارتعدت فرائصها . واستطاعت أن تتكلم وهى تقول :

ـ يا للفتاة المسكينة !

انها لم تسقك دما .. وادركت أن قوة الهية تدخلت فى الأمر .

قال وليم توماس متكسرا : « تماما مثل الزهرة » .

ماتت ديردر .. هى التى قتلتها .. لابد أن روحها هى التى كانت تسمعها هناك عند التل .

لقد قتلت أحلام دافيد .. وما سأمتلكه لنفسى الآن .. لا شىء يحول بينى وبينه . ثم قالت بصوت عال .

ـ لا تحزن نفسك كثيرا ياوليم .. انى أعرف أنه شىء يبعث على الألم وتنفست الصعداء .. « لقد استجاب الله لدعائى » . واحست أنها هدأت تماما ويمكنها أن تعيش فى سعادة فلن تتدخل بينها وبين زوجها مرة أخرى .

عاد وليم توماس يقول وهو يحاول أن يبدد الحزن من صوته .

ـ دافيد .. لقد ذهب الى السوق كما تعلمين وعندما رأى « سنوان » تسقط جرى نحوها فقد كانت سيارة مسرعة قادمة ، واعتقد أنه قد غمى عليها وخشى أن تصدمها السيارة فأراد أن يبعدها عنها ، ثم اندفع الى الطريق وجذبها من ظهرها لكنه لم يكن يعرف نها قد ماتت .. لقد ماتت فجأة فى الشارع واعتقد أن هبوطا أصابها فى قلبها ..ثم.. ثم أتت عليه السيارة.. دافيد المسكين .

قالت بلودوين وقد تغير لون وجهها وهى لا تعرف كيف يجيبها :

ـ دافيد ؟

ثم أطلقت صرخة مدوية .. وظلت تصرخ الى حد أنه بدا أن ليس ثمة شىء يمكن أن يعيد الهدوء اليها .